توجيه الواحدي لأقوال المفسرين في كتابه البسيط من خلال سورة المائدة

أ. سهام عبد الرحمن صالح الرويثي*, د. حنان لويفي العمري**

سلم البحث في ١٤٤٦/٧/٢٢هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٦/٨/٢٥هـ

ملخص البحث:

لما لأقوال المفسرين في تفسير الآيات وبيان مراد الله سبحانه وتعالى من أهمية، فدراسة أقوالهم وبيان مقاصدهم فيها وبيان وجهها معين على الفهم الصحيح للآيات، والتوجيه علم دقيق، يستلزم الغوص في القول المُوجَّه والاطلاع على ملابساته ودقائقه وأحوال قائله، لتوضيح مساره وبيان وجهته، وقد اعتنى به المفسرون صيانة للتفسير من أن يُستغل في معتقد فاسد أو شبهة، وألمح هذا البحث لنماذج من توجيهات الواحدي لأقوال المفسرين في كتابه البسيط من خلال سورة المائدة.

Abstract:

The importance of the words of the interpreters in interpreting the verses and the statement of Mourad Allah Almighty to study their statements and their intentions therein and their facial statement is based on a proper understanding of the verses, The directive is precise, it requires diving into the oriented statement and to see its circumstances, accuracy and conditions. In order to clarify its course and its direction, the interpreters have taken care of it to maintain its interpretation from being exploited in a corrupt or suspicious belief, This research hinted at models of one-on-one instructions for interpreters' sayings in his simple book through the table.

المقدمة:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسّلام على نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– أما بعد: فالقرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة أنزله الله تعالى على نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم، وقد تكفل سبحانه بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (سورة الحجر:٩), ومن تمام حفظه أن هيأ له علماء أجلاء عكفوا على تفسيره وبيان معانيه واستجلاء أسراره، لفهمه فهمًا صحيحًا، فصنفوا المصنفات، وتنوعت اتجاهاتهم فكل فسره بأسلوبه الخاص واختصاصه الذي برع فيه، ومن بين هؤلاء العلماء الأجلاء أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي –رحمه الله– الذي ألف من المصنفات دُرَرًا زَخَر بها التراث الإسلامي، ومن هذه المصنفات

* باحثة بقسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية, كلية الشريعة والقانون, جامعة جدة.
** أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك, بجامعة جدة.

التي تركها الواحدي –رحمه الله– كتابه (التفسير البسيط) فعنى فيه بالقرآن الكريم تفسيرًا ودراسةً لغويةً، وكشفًا عن أسراره وكان للتوجيه نصيبًا من دراسة الواحدي للقرآن الكريم، فوجه في القراءات، ووجه أيضًا أقوال المفسرين، فبين المراد من قولهم وأزال اللبس عنه، فكان جهدًا عظيمًا منه –رحمه الله–.

وهذا البحث سيعرض توجيهات الواحدي من خلال سورة المائدة أسأل الله أن أُوفق فيه للصواب، وأن يُجنبني الزلل والخطأ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدراسات السابقة:

رغم كثرة الرسائل العلمية التي عُنيت بالتفسير البسيط ومنهج الواحدي –رحمه الله– فيه، إلا أنه بعد البحث في الفهارس ومصادر المعلومات، ومواقع الشبكة العنكبوتية، وسؤال أهل الاختصاص، لم تُوجد أي دراسة علمية في توجيه الواحدي –رحمه الله– لأقوال المفسرين، وقد وُجِدت دراسات متعلقة بالتفسير البسيط منها:

- منهج الإمام الواحدي في عرض القراءات وتوجيهها في تفسيره البسيط، أحمد عبدالرحمن الملّاد، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن (٢٠١٥)، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، تناولت هذه الدراسة القراءات القرآنية عند الواحدي في تفسيره البسيط من خلال عرضها وبيان منهج الواحدي في توجيهها والترجيح بينها، ولم يتعرض لمنهجه في المعاني التفسيرية.
- الواحدي ومنهجه في التفسير، الدكتور جودة محمد محمد المهدي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التعريف بالإسلام، عرض هذا الكتاب عصر الواحدي وحياته، ومصادر تفسيره، ومنهجه في تفسيره، لكنه لم يتطرق لمنهجه في توجيه المعاني التفسيرية.
- تحقيق هذا التفسير كاملًا، في رسائل دكتوراة في خمسة وعشرين مجلدًا، (٢٠١٠)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي.
- منهج الواحدي في توجيه القراءات القرآنية من خلال كتابة التفسير البسيط: سورة الفاتحة أنموذجًا، (٢٠٢٠)، عبدالله عثمان أحمد، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وعُني هذا البحث المحكم بتوجيهات الواحدي في القراءات القرآنية من خلال سورة الفاتحة.

منهج البحث:

سار هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي التحليلي، باستقراء تفسير سورة المائدة

من تفسير الواحدي –رحمه الله– في كتابه (البسيط) لجمع مواضع توجيهه لأقوال المفسرين على سبيل المثال لا الحصر، ثم دراستها لاستخلاص منهجه من مجموع توجيهاته لأقوال المفسرين.

وقد انتظم البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: الدراسة النظرية، وفيه خمس مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإمام الواحدي رحمه الله

المطلب الثاني: التعريف بكتابه البسيط

المطلب الثالث: التعريف بالتوجيه

المطلب الرابع: نشأة التوجيه

المطلب الخامس: غاية توجيه أقوال المفسرين

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية لتوجيه أقوال المفسرين عند الواحدي في سورة المائدة

المبحث الأول

الدراسة النظرية

المطلب الأول: التعريف بالإمام الواحدي رحمه الله

اسمه ونسبه وكنيته:

علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، أبو الحسن[١]، ونسبته التي اشتهر بها في المصادر هي: (الوَاحدي) بفتح الواو، وبعد الألف حاء مهملة مكسورة، وبعدها دال مهملة، وهذه النسبة إلى الواحد بن الدين بن مهرة، كما ذكره أبو أحمد العسكري[٢]

مولده ونشأته:

أصله من سَاوه[٣] ثم انتقلت أسرته إلى نَيسابور[٤] حيث ولد الواحدي، ولم ينص ممن ترجم للواحدي على تاريخ ولادته، نشأ في أسرة ذات يسار فهو من أولاد التجار وله أخوين هما: أبو القاسم، عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي، وأبو بكر سعيد بن أحمد بن محمد السمسار الواحدي[٥].

طلبه العلم:

كان الإمام الواحدي مُصنِفًا مُفسرًا نحويًا أستاذ عصره وواحد دهره أنفق صِباه وأيام شبابه في التحصيل فأتقن الأصول على الأئمة وطاف على أعلام الأمة، فتنوعت مشارب الإمام الواحدي –رحمه الله– العلمية، وأحكم أصول العلم وأتقنها وقال في ذلك في مقدمة كتابه البسيط قبل بدئه بذكر شيوخه الذين تتلمذ عليهم: "وأظنني لم آل جهدًا في إحكام أصول هذا العلم، على حسب ما يليق بزماننا هذا، ويسعه سنو

عمري على قلة أعدادها، فقد وفق الله تعالى وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه، وأخذته من معادنه"[٦]، ثم ذكر أسماءهم وما تعلمه على يد كل منهم، ثم قال: "ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم، واقتبست عنهم هذا العلم، من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئتها، طال الخطب ومل الناظر"[٧]، وتلقى رحمه الله العلم على يد الكثير من العلماء والشيوخ نهل على يدهم مختلف العلوم، وقد بلغ عددهم في كتابه أسباب النزول مئة وبعضة عشر[٨]، وبلغ عددهم مبلغًا لا يمكن حصره، ومنهم[٩]، ما يلي:

أولًا: شيوخه في اللغة:

- أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن مالك السّهلكىّ الأديب أبو الفضل الصّفّار النيسابورى الشافعي، شيخ أهل الأدب في عصره[١٠].
- علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله القهندزي الضرير، أبو الحسن، نحوي أديب[١١].
- عمران بن موسى المغربي المالكي أبو الحسن الشريف، نحوي كبير، كثير الحفظ، من أفاضل العصر، مات قريبا من الخمسمائة[١٢]

ثانيًا: شيوخه في القرآن والقراءات:

- أبو القاسم علي بن أحمد البُستي وهو أحد شيوخه في القراءات[١٣]
- سعيد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن علي، أبو عثمان المقرئ الزعفران العدل الحيري، شيخ كبير، ثقة، عالم بالقراءات[١٤]
- علي بن محمد الفارسي أبو الحسن إمام مقرئ حاذق[١٥]
- سعيد بن محمد الحيري[١٦]
- أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النّيسابوري، ويقال له الثعلبي أو الثعالبي وهو لقب له وليس بنسب، صاحب تفسير: الكشف والبيان،.كان أوحد زمانه في علم القرآن،كان إماما كبيرا، حافظا للغة، بارعا في العربية [١٧]

تلاميذه:

قعد الواحدي –رحمه الله– للإفادة والتدريس سنين وتتلمذ على يده العديد من الأئمة، منهم:

- يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل أبو القاسم الهذلي، النحوي المقرئ، وكان كثير الترحال حتّى وصل إلى بلاد التّرك في طلب القراءات المشهورة والشاذة، صاحب كتاب (الكامل في القراءات)، (ت: ٤٦٥)[١٨].

• أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الفضل الميدانىّ النيسابوريّ، شيخ العربية بنيسابور، عالم باللغة والأمثال، صنف كتاب (مجمع الأمثال)، تخصص بصحبة الواحدي وقرأ عليه، (ت:٥١٨)[١٩]

• محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأَرغِياني أبو نصر، برع في الفقه وكان إماما متنسكا كثير العبادة حسن السيرة مشتغلا بنفسه، صاحب الفتاوى المعروفة يُعبر عنهاب: (فتاوى الأرغياني، وتارة فتاوى إمام الحرمين)،(ت: ٥٢٨)[٢٠]

• محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العباس أبو عبد الله الفُراوي النيسابوري، الشيخ، الإمام، الفقيه، المفتي، فقيه الحرم سمع من خلق كثير، وتفرّد بـ«صحيح مسلم»، (ت:٥٣٠)[٢١]

• عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخُواري أبو محمد، إمام فاضل عارف بالمذهب، من الراسخين في الدين، كثير الاجتهاد،(ت:٥٣٦)[٢٢].

مذهبه وعقيدته:

الإمام الواحدي من أئمة المذهب الشافعي[٢٣]، ويدل على ذلك: أن بعض من ترجم له لقبه بالشافعي، وذُكر في كتب طبقات الشافعية وعوه من علمائهم، ونُقلت أقواله في كتب الفقه الشافعي، وكثيرًا ما يقول في تفسيره: وقال أصحابنا، ويعني بهم الشافعية، يعتني بقول الشافعي وغالبا ما يكتفي به من بين المذاهب[٢٤]

أما عقيدته فهي: الأشعرية[٢٥]، وهي مرتبطة بمذهبه الشافعي فقد كانت العلاقة بينهما وثيقة في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس؛ وذلك أن معظم الأشاعرة هم من الشافعية، وهذا ما كان سائدًا في نيسابور موطن الواحدي، وفي أشياخه أعلام كبار من حملة لواء العقيدة الأشعرية، ممن قرروا قواعده وأصلوا أصوله، كأبي إسحاق الإسفراييني، وأشعريته واضحة في تفسيره، ومن الأمثلة عليها ما ذُكر في مقدمة تحقيق كتابه التفسير البسيط[٢٦]

مؤلفاته:

صنف التفاسير الثلاثة البسيط، والوسيط والوجيز وأيضًا أسباب النزول والمغازي والإغراب في الإعراب وشرح الأسماء الحسنى وسماه التحبير، وشرح ديوان المتنبي ونفي التحريف عن القرآن الشريف وكتاب الدعوات وكتاب تفسير النبيّ صلى الله عليه وسلم[٢٧].

وفاته:

توفي رحمه الله في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة [٢٨]

المطلب الثاني: التعريف بكتابه البسيط

هو أكبر كتبه في التفسير ألفه تلبية لطلب قوم ألحوا عليه من أهل العلم، وانتهى من تأليفه في عصر يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة [٢٩]

مكانته العلمية [٣٠]:

للبسيط قيمة علمية في مجال التفسير التحليلي للآيات ويعتبر من كتب التفسير الكبيرة الجامعة لمختلف العلوم، كما امتاز بمراجعه الأصيلة في التفسير والعربية، ويعتبر مصدرًا أصيلًا قديما من تفاسير القرن الخامس الهجري نقل منه كثير ممن جاء بعده من المفسرين ولمؤلفه مكانة علمية بارزة فهو من كبار العلماء بالتفسير والعربية، ويتصف بدقة البحث للمسائل وتحريرها وحسن ترجيحها مما جعل كثيرًا من المفسرين يتبنى آراءه ويستشهد بها في مواطن الخلاف.

مصادره:

كثرت مصادر الواحدي –رحمه الله– في هذا التفسير ونقل من هذه المصادر بالنص أحيانًا وأحيانًا بالمعنى، بعزو أو بدون، ومن هذه المصادر الرئيسية: تفسير ابن عباس، تفسير جامع البيان للطبري، الكشف والبيان للثعلبي، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، معاني القرآن للفراء، معاني القرآن للزجاج، تهذيب اللغة للأزهري[٣١]

منهجه في تفسيره:

تنوعت طرق المفسرين في عرض الأقوال في تفاسيرهم، وتُعرف هذه الطُرق إما بنصهم على ذلك بداية التفسير أو بالاستقراء لتفاسيرهم، وقد صرح الواحدي[٣٢] بطريقته ومنهجه في تفسيره، فقال: "أبتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصا، ثم بقول من هو قدوة في هذا العلم من الصحابة وأتباعهم، مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية. فأما الأقوال الفاسدة والتفسير المرذول الذي لا يحتمله اللفظ ولا تساعده العبارة فمما لم أعبأ به، ولم أضيع الوقت بذكره وذكرت وجوه القراءات السبع التي اجتمع عليها أهل الأمصار دون تسمية القراء، واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه"، وأما ما استقرئ[٣٣] من تفسيره: فإنه يبدأ الآية غالبا بتحليل ألفاظها وبيان أصولها اللغوية واشتقاقها، وما فيها من قضايا نحوية ويطيل في ذلك، فقد أخذت هذه المباحث حيزا كبيرا في الكتاب، ثم يذكر ما قيل في تفسير الآية ويبدأ ذلك بقوله: "أما التفسير" هذا

في الغالب، وقد يذكر قول ابن عباس أولا ثم يذكر تحليل ألفاظ الآية، كما أنه في الغالب يبدأ بقول ابن عباس، وقد يذكر قول غيره ثم يذكر قوله بعد ذلك.، وأما ما ذكر من منهجه في التوفيق بين قول السلف ولفظ الآية، وهذه سمة بارزة في تفسيره، حيث نجده دائما يحرص على بيان مدلول لفظ الآية على كل قول يذكره لأحد من الصحابة، أو من بعدهم، ويظهر بذلك احتمال ألفاظ الآية لهذه الأقوال وقد يحاول أن يجمع بينها ويبين أنها تلتقي في النهاية حول معنى واحد.

المطلب الثالث: التعريف بالتوجيه

التوجيه في اللغة: من مادة: (و ج ه)، والوجه: مستقبل كل شيء، والجهة: النحو. يقال: أخذت جِهة كذا، أي: نحوه، والوجهة: القبلة وشبهها في كل شيء استقبلته وأخذت فيه[٣٤]، وربما عن الشيء بوجهه[٣٥] ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ (سورة القصص:٨٨)[٣٦]، ومعنى ﴿إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ إلا إياه[٣٧]، والتوجيه: مصدر توجه إلى ناحية كذا، إذا استقبلها وسعى نحوها[٣٨]، ووَجه الكلام: السبيل المقصود به وهو مجاز[٣٩] وشيء مُوَجَه، إذا جُعل على جهة واحدة لا يختلف[٤٠]، ووجهت الشيء: جعلته على جهة، وأصل جِهته وجَّهته[٤١]،ويستعار الوجه للمذهب والطريق [٤٢]وجِهَةُ الامر، وجَهَتُه، ووِجْهَتُه، ووُجْهَتُه: وَجْهُهُ، وماله جِهَة في هذا الأمر، ولا وِجهَة، أي لا يبصر وجه أمره كيف يأتي له، والجهة والوِجهَة: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده، وما أدري أي وِجه وِجهَتك: أي طريق ومذهب، وضل وِجهَة أمره: أي قصده[٤٣]، وَجِّه الأَمرَ وَجْهَهُ يضرب مثلاً للأَمر إذا لم يستقم من جهةٍ أَن يُوَجِّهَ له تدبيراً من جِهةٍ أُخرى[٤٤]، ولهذا القول وجه: أي: مأخذ وجهة أُخذ منها[٤٥].

أما **التوجيه اصطلاحا:** فتوجيه الكلام بالمعنى العام: "جعل الكلام موجهًا ذَا وَجه ودليل"[٤٦]، وقِيل في حقيقته: "أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام المؤلف–مثلًا– . فيقف الشارح عند ذلك، يُيسّر هذه الصعوبة ويحِلُّ كل غموض"[٤٧]،أما في أنواع العلوم فللتوجيه معنى خاص يختلف من علم لآخر، كما أن التوجيه لأقوال المفسرين عُرف بتعريفات كثيرة، يكتفى هنا في بيان معناه بهذا التعريف: "هو الكشف عن مأخذ أقوال السلف في بيان القرآن، ببيان ما بُنيت عليه، أو مرادهم بها، أو علتهم فيها[٤٨]".

المطلب الرابع: نشأة علم التوجيه[٤٩]

نشأ التوجيه في تفسير القرآن الكريم مع نزوله فقد كان الصحابة يستشكلون معنى بعض الآيات فيُبَيِّنها النبي صلى الله عليه وسلم لهم ويوجهها، ومن أمثلة ذلك

حديث عبد الله بن مسعود له, قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢) شَقَّ ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم, وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس كما تظنُّون ! إنَّما هو كَما قال لقمانُ لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ (لقمان: ١٣)»[٥٠] وهكذا كان حال الصحابة مع التابعين يبينون ما أشكل عليهم ويوجهونه، ومن أمثلة ذلك عن سعيد بن جبير، قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ (سورة المؤمنون:١٠١)، ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (سورة الصافات:٢٧)، فقال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾ في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ (سورة الزمر:٦٨) فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة، ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾[٥١].

أما نشأة توجيه أقوال المفسرين فلا شك أنه تأخر عن ذلك، فظهر في منتصف القرن الثاني في طبقة أتباع التابعين، لكنه لم يكن ظاهره واضحة إلا أنه كان موجودًا في ثنايا كتبهم، وكان اعتناءهم كبير بتوجيه القراءات، وأوّل من اعتنى بالتوجيه اعتناء بالغًا وأظهره: إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري.

المطلب الخامس: غاية توجيه أقوال المفسرين

غايته الفهم السليم للأقوال الموجهة بدراسة أحوالها والأسس التي استند عليها قائلوها وبالتالي إعلاء مكانتهم في التفسير وحفظ منزلتهم وبيان فضل علمهم والذب عنهم ممن يطعن في فهمهم وتفسيرهم، ودفع الإشكال عن أقوالهم، بدفع معنى متوهم غير المُراد، وتصحيح القول وتقويته، أو تضعيفه، والتقريب بين الأقوال أو إظهار افتراقها.

المبحث الثاني

الدراسة التطبيقية لتوجيه أقوال المفسرين عند الواحدي في سورة المائدة

١. الأقوال المُوَجَّهة في المراد بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ

ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (سورة المائدة:٣)

الدراسة:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾: "أي أكملت لكم دينكم ببيان الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض، وهذا معنى قول ابن عباس، والسدي، وهو الاختيار؛ لأن كمال الدين يكون ببيان الأحكام[٥٢]"، فوجّه القول كما يلي:

– ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ أي: كمال الإسلام,

أورد الواحدي –رحمه الله– هذا القول عن ابن عباس والسدي، وأخرجه عنهما الطبري[٥٣]. ثم وجهه لبيان معنى قولهما بأن هذا الكمال للإسلام يكون ببيان الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض، واختار الواحدي هذا القول مُعللًا ذلك؛ بأن كمال الدين يكون ببيان الأحكام.

كما ضعفه الطبري[٥٤] مُستندًا إلى أحوال النزول، معللًا ذلك بأنه رُوي عن بعض الصحابة أن آخر آية نزلت من القرآن قوله تعالى: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ (سورة النساء: ١٧٦)، وهي من الأحكام والفرائض، وأن الوحي لم ينقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض، وكل هذا على خلاف الوجه الذي تأوله من تأول أنه كمال العبادات والأحكام والفرائض.

ورجح الطبري[٥٥] أن الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به, أنه أكمل لهم يوم أنزل هذه الآية على نبيه دينهم, بإفرادهم بالبلد الحرام, وإجلائه عنه المشركين, حتى حجه المسلمون دونهم, لا يخالطونهم المشركون.

حكى ابن عطية[٥٦] وأبو حيان[٥٧] والألوسي[٥٨] أن الإكمال عند الجمهور هو الإظهار والنصر واستيعاب عظم الفرائض والتحليل والتحريم، فكمل الدين ببيان ما يلزم بيانه ويستنبط منه غيره والتنصيص على قواعد العقائد، والتوقيف على أصول الشرع وقوانين الاجتهاد، وإن نزل بعد ذلك قرأن مثل آية الكلالة، وإنما كمل أمر الدين بأنهم حجوا وليس معهم مشرك ويجرون أحكام الدين من غير مانع وهذا كما تقول: تم لي الملك إذا كفيت ما تخافه.

النتيجة:

تبين بعد الدراسة أن الواحدي استخدم في هذا التوجيه صيغة: (وهذا معنى

قول فلان)، سالكًا في توجيه القول اعتبار مراد قائله، ببيان المجمل من عبارته؛ وذلك لخفاء مراده، فبين القول وفصله، كما تبين أن الراجح عند أكثر المفسرين أنه ظهور أمر الدين ونُصرته وكمال فرض ما يحتاجون إليه، -والله أعلم-.

٢. الأقوال المُوَجَّهة في المراد بقوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (سورة المائدة:٥).

الدراسة:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾: "قال ابن عباس ومجاهد: أي بالله، ووجه هذا القول: هو أن الله تعالى يجب الإيمان به، ومن آمن به فهو مؤمن به، والله تعالى مؤمن به، والمؤمن به يجوز أن يسمى إيمانا كما يسمى المضروب ضربا، كقولهم: نسج اليمن، وصيد البر"[٥٩]، فوجَّه القول كما يلي:

- ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي: يكفر بالله, أورد الواحدي هذا القول عن ابن عباس ومجاهد أن المراد به ومن يكفر بالله، وذكره عنهما الثعلبي[٦٠] والرازي[٦١].

ثم بين وجهه وهو أن الله تعالى يجب الإيمان به، ومن آمن فهو مؤمن به، والله تعالى مؤمن به، والمؤمن به يجوز أن يسمى إيمانا.

قال الطبري[٦٢]فإن قال لنا قائل: وما وجه تأويل من وجه قوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ إلى معنى: ومن يكفر بالله؟ قيل: وجه تأويله أن الإيمان هو التصديق بالله وبرسله وما ابتعثهم به من دينه، والكفر: جحود ذلك. قالوا: فمعنى الكفر بالإيمان, هو جحود الله وجحود توحيده. ثم وجّه الطبري قولهم بأنهم فسروا معنى الكلمة بما أريد بها، وأعرضوا عن تفسير الكلمة على حقيقة ألفاظها وظاهرها في التلاوة. فإن قال قائل: فما تأويلها على ظاهرها وحقيقة ألفاظها؟ قيل: تأويلها: ومن يأب الإيمان بالله ويمتنع من توحيده والطاعة له فيما أمره به ونهاه عنه، فقد حبط عمله؛ وبين سبب ذلك أن في كلام العرب، الكفر هو الجحود، والإيمان: التصديق والإقرار, ومن أبى التصديق بتوحيد الله والإقرار به فهو من الكافرين, فذلك تأويل الكلام على وجهه.

قال الرازي[٦٣]: قيل أن الكفر بالإيمان هو الكفر بالله وهذا على سبيل المجاز؛ لأنه تعالى رب الإيمان ورب الشيء قد يُسمى باسم ذلك الشيء.

النتيجة:

تبين بعد الدراسة أن الواحدي استخدم في هذا التجيه صيغة: (وجه هذا القول كذا...)، سالكًا في توجيه القول اعتبار مُراد قائله، ببيان ما حملته عبارته من معاني؛ وذلك لمخالفة القول للمعنى الظاهر من لفظ الآية، فبين وجه القول وأزال الإشكال عنه، -والله أعلم-.

٣. الأقوال المُوَجَّهة في المراد بقوله: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (سورة المائدة:١٦)

الدراسة:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾: اتبع ما رضيه الله تعالى مما مدحه وأثنى عليه، وهو دين الإسلام، يدل على هذا قول ابن عباس: يريد من صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- لما جاء به ففسر رضوان الله بتصديق النبي -صلى الله عليه وسلم-[٦٤]، فوجَّه القول كما يلي:

- ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾: أي من صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- أورد الواحدي هذا القول عن ابن عباس، ولم أقف على مصدر نسبته وتخريجه.

وقد فسر الواحدي رضوان الله أنه اتباع دين الإسلام ثم دلل على قوله بكلام ابن عباس رضي الله عنه بأنه تصديق النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عقب على قول ابن عباس أنه تفسير لرضوان الله.

ويدخل في معناه ما ذكره جمع من المفسرين، منهم: الثعلبي[٦٥] ومكي[٦٦] والكشاف[٦٧] والبغوي[٦٨]وابن عثيمين[٦٩] الإيمان بالله واتباع رسله وقبول دينه والقيام به.

النتيجة:

تبين بعد الدراسة أن الواحدي استخدم في توجيه هذا القول صيغة: (ففسر كذا بكذا...)، سالكًا في توجيه القول اعتبار مُراد قائله، ببيان مقصوده بحمل كلامه على إرادة معنى لازم، إذ أنه من لوازم رضوان الله سبحانه، تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم.؛ وذلك لخفاء مراده، مُستندًا إلى قول المفسرين، فبين وجه القول، -والله أعلم-.

٤. الأقوال المُوَجَّهة في المراد بقوله: ﴿قَوۡمًا جَبَّارِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ (سورة المائدة: ٢٢)

الدراسة:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: "قال الأخفش: أراد الطول والقوة والعظم، وكأنه ذهب في هذا إلى الجبار من النخل، وهو الطويل الذي فات الأيدي، ويقال: رجل جبار، إذا كان طويلا عظيما قويا، تشبيها بالجبار من النخل، وهذا معنى قول قتادة: كانت لهم أجسما وخلق عجيب ليس لغيرهم"(٧٠)، فوجه الأقوال كما يلي:

– ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: أي في الطول والقوة, أورد الواحدي هذا القول عن الأخفش، ولم أقف على قول الأخفش لهذا بل قال في معاني القرآن(٧١): أن جبارين صفة لقوم، وهذا القول الذي ذكره الواحدي ورد عن أبي الحسن اللحياني في تهذيب اللغة(٧٢). ثم وجّهه بأنه تشبيه لطولهم ولقوتهم بالنخل الذي فات يد المتناول.

– ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: أي لهم أجسام وخَلق ليس لغيرهم. أورد رحمه الله هذا القول عن قتادة، وأخرجه عنه عبدالرزاق(٧٣)، وجهه بما وجه به القول الأول، فقد ذكر القول وتوجيهه ثم قال: وهذا معنى قول قتادة.

قال الطبري(٧٤): وسموهم جبارين, لأنهم كانوا بشدة بطشهم وعظيم خلقهم قد قهروا سائر الأمم غيرهم، وأصل الجبار: المصلح أمر نفسه وأمر غيره, ثم استعمل في كل من اجتر نفعا إلى نفسه بحق أو باطل, حتى قيل للمتعدي إلى ما ليس له بغيا على الناس وقهرا لهم وعتوا على ربه: جبار.

قال ابن عطية(٧٥): والجبار فعال من الجبر كأنه لقوته وبطشه يجبر الناس على إرادته، والنخلة الجبارة العالية التي لا تنال بيد.

النتيجة:

تبين بعد الدراسة أن الواحدي استخدم في توجيه القول الأول صيغة: (كأنه ذهب إلى كذا...)، وللثاني صيغة: (وهذا معنى قول فلان...)، سالكًا في توجيه كلا القولين اعتبار مراد قائله، ببيان مقصوده من عبارته، بحمل مُراده على التشبيه, مُستندًا إلى اللغة؛ وذلك لمخالفة القول للمعنى الظاهر من لفظ الآية، حيث يتبادر للذهن وصف بأسهم وبطشهم لا وصف قوة أجسادهم، فبين وجه الأقوال وأزال الاشكال عنها، بأنها في معنى وصف قوتهم، –والله أعلم–.

٥. الأقوال المُوَجَّهة في المراد بقوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ

رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (سورة المائدة:٨٩)

الدراسة:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾, "قال ابن عباس: كان الرجل يقوت أهله قوتا فيه سعة، وقوتا وسطا، وقوتا دون ذلك، فأمر بالوسط، وهذا يعود إلى ما ذكرنا من قدر المد؛ لأنه وسط في طعام الواحد، وليس بسرف ولا تقتير. وبمثل هذا قال سعيد بن جبير: كان أهل المدينة يفرضون للصغير على قدره، وللكبير على قدره، وللوسط على قدره، فأمروا بأوسط ما يطعمون، وهذا وسط في الشبع، لا يكون فوق الحاجة ولا دون المغني من الجوع"[٧٦]، فوجه القول كما يلي:

– ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ أي: أوسط قوت أهله في القلة والكثرة.

أورد هذا القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير، واخرجه عنهما الطبري[٧٧]. ثم وجهه لايضاح القول ولبيان مقداره بالمُدّ معللًا ذلك المقدار بكونه وسط في طعام الواحد، وليس بسرف ولا تقتير ووسط في الشبع، لا يكون فوق الحاجة ولا دون المغني من الجوع، ومقدار الوسط عنده مُدّ لكل مسكين.

رجح الطبري[٧٨]: أن المراد من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلة والكثرة، مستندًا في ترجيحه إلى السنة، فقال: "وذلك أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفارات كلها بذلك وردت، وذلك كحكمه صلى الله عليه وسلم في كفارة الحلق من الأذى بفرق من طعام بين ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، وكحكمه في كفارة الوطء في شهر رمضان بخمسة عشر صاعا بين ستين مسكينا لكل مسكين ربع صاع. ولا يعرف له صلى الله عليه وسلم شيء من الكفارات أمر بإطعام خبز وإدام ولا بغداء وعشاء. فإذ كان ذلك كذلك، وكانت كفارة اليمين إحدى الكفارات التي تلزم من لزمته، كان سبيلها سبيل ما تولى الحكم فيه صلى الله عليه وسلم من أن الواجب على مكفرها من الطعام مقدار للمساكين العشرة محدود بكيل دون جمعهم على غداء أو عشاء مخبوز مأدوم"، وذكر الطبري أن قول من فسره بالوسط في القيمة وأجناس الطعام لقولهم وجاهه لولا مجيء الأحاديث النبوية المثبتة لخلافه، وأن كفارة اليمين لها نظير وشبيه يجب إلحاقها بها.

قال ابن عطية[٧٩]: بعموم لفظ الوسط في القدر والصنف.

النتيجة:

تبين بعد الدراسة أن الواحدي –رحمه الله– استخدم في توجيه هذا القول

صيغة:(وهذا يعود إلى كذا...)، سالكا في توجيه القول اعتبار مُراد قائله، بتقييد المطلق من عبارته في الوسط بمقدار المدّ؛ وذلك لخفاء مُراده بالوسط في الإطعام فحدده لزيادة في إيضاح القول ببيان مقداره، مستندا إلى الدلالة العقلية، في مقدار ما يكون حدا للوسط، فبين القول ودفع عنه الاشكال بتقييده بمقدار معلوم، -والله أعلم-.

٦. الأقوال المُوَجَّهة في المراد بقوله: ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ (سورة المائدة:١٠٩)

الدراسة:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾: "قال ابن عباس في رواية عطاء: إن للقيامة زلازل وأهوالا حتى تزول القلوب من مواضعها، فإذا رجعت القلوب إلى مواضعها، شهدوا لمن صدقهم وشهدوا على من كذبهم، يريد أنه عزبت عنهم أفهامهم من هول يوم القيامة فقالوا: ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾, وهو قول الحسن، ومجاهد، والسدي، قالوا: من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب، ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم، واختار الفراء هذا القول، ونحو هذا قال الكلبي: من شدة هذه المسألة وهول ذلك الموطن، ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾, ثم رجعت إليهم عقولهم، فشهدوا على قومهم أنهم بلغوهم الرسالة، وكيف ردوا عليهم، ومثل هذا قال مقاتل، وسفيان الثوري، قال ابن عباس في رواية الوالبي: إنهم قالوا: لا علم لنا كعلمك، لأنك تعلم ما أظهروا وما أضمروا، ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا، فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، وعلى هذا إنما نفوا العلم عن أنفسهم؛ لأن علمهم كلا علم عند علم الله تعالى[٨٠]، فوجه القول كما يلي:

- ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾ أي: أن للقيامة زلازل وأهوالا حتى تزول القلوب من مواضعها، فإذا رجعت القلوب إلى مواضعها، شهدوا لمن صدقهم وشهدوا على من كذبهم.

أورد هذا القول عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والسدي، وذكره عنهم ابن الجوزي[٨١] ثم وجه لبيانه بأنهم عزبت عنهم أفهامهم من هول يوم القيامة؛ وذلك سبب قولهم: ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾

هذا القول الذي وجهه الواحدي في المراد بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾: أنه عزبت أفهامهم عن الجواب من شدة أهوال يوم القيامة علق ابن عطية[٨٢] على هذا المعنى بأن البعض ضعفه بقوله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ (سورة الأنبياء:١٠٣)، فالأنبياء في أشد أهوال يوم القيامة وحالة جواز الصراط يقولون سلم

سلم وحالهم أعظم وفضل الله عليهم أكثر من أن تذهل عقولهم حتى يقولوا ما ليس بحق في نفسه.

رجح الطبري(٨٣) أن المراد بقولهم: ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾ لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا، مُستندًا إلى دلالة القرآن الكريم، ودلالة العقل، لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ أي أنك لا يخفى عليك ما عندنا من علم ذلك ولا غيره من خفي العلوم وجليها، فهم نفوا أن يكون لهم بما سئلوا عنه من ذلك علم لا يعلمه الله تعالى، لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ما شاهدوا، كيف يجوز أن يكون ذلك كذلك، والله تعالى يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابتهم به الأمم وأنهم سيشهدون على تبليغهم الرسالة, فقال تعالى ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ (سورة البقرة: ١٤٣).

كما رجحه ابن عطية(٨٤) مستندًا إلى دلالة العقل فقال: وهذا القول أصوب الأقوال لأنه يتخرج على التسليم لله تعالى ورد الأمر إليه، إذ قوله ماذا أجبتم لا علم عندهم في جوابه إلا بما شوفهوا به مدة حياتهم، وينقصهم ما في قلوب المشافهين من نفاق ونحوه، وما ينقصهم ما كان بعدهم من أمتهم والله تعالى يعلم جميع ذلك على التفصيل والكمال. فرأوا التسليم له والخضوع لعلمه المحيط.

كما رجحه ابن كثير(٨٥) فقال: أنه قول حسن، وهو من باب التأدب مع الله عز وجل، فلا علم لهم بالنسبة إلى علم الله المحيط بكل شيء.

النتيجة:

تبين بعد الدراسة أن الواحدي استخدم في توجيه هذا القول صيغة: (يريد كذا)، سالكا في توجيه القول اعتبار مراد قائله، ببيان مغزى عبارته، وذلك لزيادة في إيضاحه وبيانه، فبين القول وفصله.

كما تبين أن هذا القول ضعيف عند ابن عطية، وما رجحه المفسرون هو: أن المراد بقولهم نفي العلم عن أنفسهم والتسليم لعلم الله تعالى المحيط بكل شيء،–والله أعلم–.

٧. الأقوال المُوَجَّهة في المراد بقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾ (سورة المائدة: ١١٧)

الدراسة:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾:"قال ابن عباس

والحسن والقرظي: رفعتني، يعنون وفاة الرفع إلى السماء من قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ (سورة آل عمران: ٥٥)[٨٦]، فوجه القول كما يلي:

– ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أي: رفعتني, أورد الواحدي هذا القول عن ابن عباس، والحسن والقرظي ولم أقف على مصدر نسبته وتخريجه.

وأخرج عنه ابن جرير[٨٧] وابن أبي حاتم[٨٨] أنه قال: مميتك، وأورده عن الحسن وأخرجه عنه عبدالرزاق[٨٩] وابن جرير[٩٠] أنه قال: متوفيك من الأرض، أي قابضك من الأرض ورافعك من بين المشركين، وأورده عن القرظي، ولم أقف على مصدر نسبته وتخريجه.

ثم وجه قولهم بأنهم يعنون وفاة الرفع إلى السماء، مُشيرًا إلى قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾.

قال الطبري[٩١]بعد أن أورد اختلاف المفسرين مُرجحا لهذا القول: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إلي، رجحه استنادًا إلى السنة؛ مُعللًا ذلك بتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال» ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت، فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه. ودلل على صحة ما رجحه وذهب إليه بقوله: ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى، فيجمع عليه ميتتين؛ لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم، ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ﴾ (سورة الروم: ٤٠).

رجحه ابن عطية[٩٢] وذهب إلى مثل ما ذهب إليه الطبري، مُستندًا إلى السنة، من الحديث المتواتر[٩٣] من أن عيسى عليه السلام في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد ويحج البيت ويعتمر، ويبقى في الأرض أربعا وعشرين سنة، وقيل أربعين سنة، ثم يميته الله تعالى".

قال الشنقيطي[٩٤] هذه الآية الكريمة يتوهم من ظاهرها وفاة عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على خلاف ذلك كقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾ (سورة النساء:١٥٧)، وقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ (سورة النساء:١٥٩)، على ما فسرها به ابن

عباس في إحدى الروايتين وأبو مالك والحسن وقتادة، ودلت على صدقه الأحاديث المتواترة، واختاره ابن جرير وجزم ابن كثير، بأنه الحق من أن قوله: «قبل موته» أي موت عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ثم فصل في الأقوال الواردة عن المفسرين وبين وجه كل قول، وخلص إلى أنه لا يُعنى به موته عليه السلام.

النتيجة:

تبين بعد الدراسة أن الواحدي استخدم في توجيه هذا القول صيغة: (يعنون كذا...)، سالكا في توجيه القول اعتبار مراد قائله، ببيان المجمل من عبارته؛ وذلك لمخالفة القول للمعنى الظاهر من لفظ الآية، مستندا إلى القرآن الكريم، فبين وجاهة القول. كما تبين أن أكثر المفسرين على أنه الرفع إلى السماء، وهو ترجيح ابن جرير وابن عطية والشنقيطي؛ لموافقته الأدلة الصحيحة -والله أعلم-.

٨. الأقوال المُوجَّهة في المراد بقوله:﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(سورة المائدة: ١١٩)

الدراسة:

قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾: في الآخرة؛ لأنه يوم الإثابة والجزاء، وما تقدم في الدنيا من الصدق إنما يتبين نفعه في هذا اليوم الذي نيل فيه جزاؤه، والدليل على أن المراد بالصادقين الذين صدقوا في الدنيا لا الصادقين في ذلك اليوم، أن الكفار لا ينفعهم الصدق في ذلك اليوم بما يكون من الإقرار على أنفسهم بالمعصية، قال المفسرون: هذا تصديق لعيسى بما يقول من قوله: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ (سورة المائدة: ١١٧)، وذلك أنه كان صادقا في الدنيا ولم يقل للنصارى اتخذوني إلها، فنفعه صدقه، وأما إبليس فإنه يصدق أيضا في ذلك اليوم في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾ (سورة إبراهيم:٢٢) فلم ينفعه صدقه؛ لأنه كان كاذبا في الدنيا، وهذا معنى قول قتادة، والذي ذكرنا من أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة قول عامة المفسرين إلا ما روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: يريد يوما من أيام الدنيا؛ لأن الآخرة ليس فيها عمل، إنما فيها الثواب والجزاء، وذهب في هذا القول إلى ظاهر الآية من أن الصدق النافع يكون في الدنيا، فلما وصف اليوم بأنه ينفع فيه الصدق جعله من أيام الدنيا، ويكون معنى الآية: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا﴾ أي: هذا الكلام الذي جرى

ذكره ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، أي: في يوم ينفع الصادقين صدقهم، وهذا القول يوافق مذهب السدي في أن هذه المخاطبة جرت مع عيسى حين رفع إلى السماء"[٩٥]، فوجه الأقوال كما يلي:

– ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ أي: صدقهم في الدنيا ينفعهم يوم القيامة.

فسر الواحدي رحمه الله هذا اليوم بأنه يوم القيامة، وعلل ذلك؛ أن يوم القيامة هو يوم الجزاء على ما تقدم في الدنيا من الصِدق، ودلل على ذلك بأن الكفار لا ينفعهم يوم القيامة صدقهم وإقرارهم على أنفسهم بالمعصية.

ثم ذكر قول المفسرين أن هذا تصديق لعيسى –عليه السلام– بما يقول، وأنه في الدنيا لم يقل للنصارى أن يتخذوه إلها، فصدق في الدنيا ونفعه صدقه في يوم القيامة، أما الكافر فهو يصدق أيضًا يوم القيامة فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾ (سورة إبراهيم:٢٢) ولكن لا ينفعه صدقه؛ لأنه كان في الدنيا كاذبا.

ثم علق على قولهم بأنه معنى لقول قتادة، فوجه قول قتاده بقول المفسرين، لكنه لم يذكر قول قتادة، وأخرج السيوطي[٩٦] عن قتادة قال: متكلمان تكلما يوم القيامة، نبي الله عيسى وإبليس عدو الله فأما إبليس فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ﴾ (سورة إبراهيم:٢٢)، وصدق عدو الله يومئذ وكان في الدنيا كاذبا، وأما عيسى فما قص الله عليكم في قوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ (سورة المائدة:١١٦)، ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾.

ثم بين الواحدي –رحمه الله– أن هذا المعنى هو قول عامة المفسرين.

– ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي: ينفعهم في يوم من أيام الدنيا, أورد الواحدي هذا القول عن ابن عباس برواية عطاء، وذكره عن عطاء الثعلبي[٩٧] والبغوي[٩٨].

ثم وجه القول بأنه محمول على ظاهر الآية، وأن الصدق النافع يكون في الدنيا وبين أن هذا القول يوافق ما ذهب إليه السدي بأن هذه المخاطبة كانت حين رُفع عيسى عليه السلام، وأخرج الطبري[٩٩] عن السدي: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾, هذا فصل من كلام عيسى، وهذا يوم القيامة، ثم وجه الطبري قول السدي مُبينًا وشارحًا له فقال: يعني السدي بقوله: هذا فصل من كلام عيسى، أن

قوله: ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ (سورة المائدة: ١١٦) إلى قوله: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (سورة المائدة:١١٨) من خبر الله عز وجل عن عيسى أنه قاله في الدنيا بعد أن رفعه إليه، وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة.

قال الطبري[١٠٠] وتأويله: أن قال الله لعيسى: هذا القول النافع في يوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم ذلك في الآخرة عند الله، فالصادقين في الدنيا الذين صدقوا الله فيما وعدوه فوفوا به، يوفي الله عز وجل لهم ما وعدهم من ثوابه. فيجزيهم جنات تجري من تحتها الأنهار في الآخرة ثوابا لهم من الله عز وجل.

قال البيضاوي[١٠١] والسعدي[١٠٢] الصادقين هم الذين في وقت التكليف استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم فيوم القيامة يجدون جزاء ذلك التصديق؛ إذ أنه يوم الجزاء والحساب.

قال مكي[١٠٣]، والماوردي[١٠٤]: صدقهم في الدنيا ينفعهم يوم القيامة؛ لأنه وقت وقوع الجزاء وليست الآخرة بدار عمل، وإن كان في كلِّ الأيام نافع.

قال الراغب[١٠٥]: الصدق في الدنيا ينفعهم يوم القيامة، وليس صدقهم في يوم القيامة، وبين أن الصدق ليس فقط صدق المقال فقط بل صدق الأقوال وفي الأفعال وهو ترك الرياء وإخلاص المسار إليه، يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إن الله يؤتى يوم القيامة بقارئ القرآن فيقال له ما كنت تفعل؟ فيقول: كنت أقرأ القرآن، فيقول له: كنت تقرأ ليقال إنك قارئ، وقد قيل ذلك فيؤمر به إلى النار)[١٠٦].

النتيجة:

تبين بعد الدراسة أن الواحدي استخدم في توجيه القول الأول صيغة: (وهذا معنى قول فلان...)، سالكا في توجيه القول

ERROR: syntaxerror
OFFENDING COMMAND: --nostringval--

STACK: